الاتراك الى الالمان طالبين منهم العون بعد العام ١٨٩٦ ، وصلت العداوة الانكليزية ـــ التركية اوجها ، وشهدت تلك الفترة تحولا ملموسا في السياستين البريطانية والتركية ، انتلقت على اثرها بريطانية من موقعها المدافع عن الامبريالية الى موقف جديد : تجهيز الحملات الامبريالية . اما تركية ، فانها شرعت في اقامة الاحلاف . ان هاتين الميزتين الجديدتين حددتا تطوراً جديداً في عهد الامبريالية : انتهاء وتفتيت ما سمي بالتعاضد الاوروبي ، وكردة فعل لذلك ظهرت على الساحة « سياسة الاحلاف » . فمنذ ان فرغ بسمارك من توحيد المانيه ، وخاصة منذ ان فرغ من خلق الحلف الثلاثي مع النمسه ـــ هنجارية وايطالية في العام ١٨٧٩ ، الى ان تفكك ذلك الحلف في العام ١٨٩٠ ، كانت القوى الامبريالية بلغت حدا من معاداة بعضها البعض يوازي العداء الذي كانت تكنه لها الشعوب الافريقية ـــ الاسيوية الراضخة لتلك القوى . وكلما كانت بلغت احدى تلك القوى مرحلة اعلى تبعا لتوسعاتها الامبريالية ، كانت تنظر بعين الشك اكثر الى منافسيها . ان هذا الشعور بالخوف المتبادل دفع الى اتباع سياسة الاحلاف ، ففرنسه تحالفت مع روسيه للوقوف في وجه المانيه ، اما النمسه فتحالفت مع المانيه في وجه روسيه .

عبر هذه الخلفية التاريخية ، التي سلفت ، يمكن فهم نشوء الحركة الصهيونية كرديف للامبريالية ابان تلك المرحلة . فبالرغم من أن الصهيونية منذ ولادتها كانت طفيلية (بمعنى انها بدأت جيبا انشق عن القومية اليهودية الام ،ثم كانت بعثة ارسالية تعمل على تحقيق أهدافها بتغطية من الامبريالية البريطانية ، ثم كانت ستارا للامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط بهدف تأمين قاعدة ديمقراطية ، في المنطقة) ، الا ان هناك خاصية واضحة تبرز خلال التطور المذكور : كانت الصهيونية تركز على فلسطين . والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا فلسطين بالذات ؟ ان الباعث على ذلك دافع عقائدي . ان الولادة الرسمية للحركة الصهيونية ذات خصائص دينية شوفينية تضرب جذورها في مسقط رأس تلك الحركة : النمسه . ان اليهودية النمساوية عملت على تخمير الافكار الصهيونية التي تبلورت في **دولة اليهود** (١٨٩٦) لهرتسل (٥) . في تلك الحقبة عملت الصهيونية ما في وسعها للتقرب من فلسطين ، فعمد اليهود وغيرهم الى تأييد منظمة « محبي صهيون » الروسية (١٨٨٧ ـــ ١٨٩٧) ، ولجأ المتعصبون منهم وحفظة التوراة الى رسم جميع انواع الخطط الدينية الارسالية باتجاه فلسطين ، وكان هرتسل هو من اعطى الحركة الصهيونية برنامجا سياسيا متكاملا ومن هنا تجلت في كتاباته شوفينية دينية ، كما اتبع اسلوبا اوروبيا في الكتابة والتفكير وذلك لاستدرار عطف الاوروبيين .ان مقولات هرتسل تركت اثرا وانطباعا حسنين في ذهن تشامبرلين، بالرغم من ان الاخير ينظر الى الصهيونية نظرة انسانية ، رأى تشامبرلين ان الوقت مؤات كي تعمل الديبلوماسية البريطانية على دعم الحركة الصهيونية لان ذلك يؤدي الى التعاطف اليهودي العالمي مع بريطانيه . ليس هذا فحسب ، بل ان بريطانيه عندئذ سوف تضمن وجود الرأسمال والاستيطان اليهوديين لتنمية وتطوير ما سيكون بالنسبة لها « اراض بريطانية » ، . وبالنظر مستقبليا « فان مستعمرة يهودية تقام في سيناء ، لسوف تساعد كثيرا على امتداد النفوذ البريطاني الى كل انحاء فلسطين ، وبانتظار الفرصة السانحة حين تتفكك اواصر الامبراطورية العثمانية » (٦) . وهكذا ، يتضح جليا ان الامبريالية البريطانية قد بدأت تفكر بجدية لاقامة منطقة نفوذ تابعة لها في الشرق الادنى ، عبر رأس حربة الديانة اليهودية ، اذا ، فالامبريالية البريطانية اوجدت اخيرا لحاجاتها الاقتصادية مبررا عقائديا يدفعها لاستعمار فلسطين ، والفكرة بدأت تختمر منذ العام ١٩٠٣ . كان البريطانيون يعرفون تماما ان الحركة الصهيونية تفتقر الى التنظيم وان القومية العالمية صلبة الى حد لا يسمح لحركتهم بالظهور ما لم ترتكز